كلمة الدكتور عبد اللطيف عبيد
وزير التربية في الجمهورية التونسية
في جلسة افتتاح برنامج لقاءات إطلاق حملة
مؤسسة الفكر العربي "بالعربي" لتشجيع القراءة لدى الأطفال

بيروت، في 23 فيفري 2012

بسم الله الرحمان الرحيم

أصحاب المعالي

أصحاب السعادة

السيد الأمين العام لمؤسسة الفكر العربي الموقرة

أيّها المربّون والباحثون الأفاضل من مختلف أقطارنا العربية الحبيبة

أيتها السيدات، أيّها السادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اسمحوا لي في البداية أن أتوجّه بجزيل الشكر إلى مؤسسة الفكر العربي وإلى رئيسها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل وإلى أمينها العام الدكتور سليمان عبد المنعم على دعوتهما الكريمة للمشاركة في هذا اللقاء المهم، وأن أحمل إليكم تحيّات إخوانكم وأخواتكم التونسيين والتونسيات الذين يتابعون تشاطكم ونشاط مؤسسة الفكر العربي وكذلك نشاط شركائها وفي مقدّمتهم، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية وشركة أرامكو السعودية، بكل تقدير وإعجاب.

أيّها السيدات، أيتها السادة

إنّ المشروع الذي تنفّذه مؤسسة الفكر العربي، وهو "الإسهام في تطوير تعلّم اللغة العربية – عربي 21"، مشروع عظيم الأهمية بالنسبة إلى أجيالنا الناشئة وإلى مستقبل الوطن العربي والأمّة العربية؛ ذلك أنّ اللغة العربية سياج هويّتنا، والمقوّم الأساسي من مقوّمات حضارتنا، وأداة تنميتنا الفكرية والثقافية والعلمية والتربوية والاجتماعية. ومن هنا فإنّ العناية بها واجب علينا جميعاً. وهذا الواجب الوطني والقومي هو الذي تعمل مؤسسة الفكر العربي على النهوض به بما يحقق النفع لنا جميعاً في كل أقطارنا العربية. وإنّ أحد الشعارات التي ترفعها مؤسسة الفكر العربي في هذا الصدد، وهو "بالعربي أقرأ، بالعربي أنمو"، لهو دليل على وعيها التام بالعلاقة المتينة بين اللغة والتنمية بمختلف أبعادها.

وإنّ انعقاد هذا اللقاء يأتي بعد يومين من احتفال دول العالم، بمبادرة من اليونسكو، باليوم العالمي للغة الأم في 21 فبراير/ شباط وقبل أيام قليلة من احتفال الوطن العربي بيوم اللغة العربية في الأوّل من مارس/ آذار. وسيكون يوم اللغة العربية مناسبة ثمينة لزيادة الاهتمام باللغة العربية وغرس الاعتزاز بها باعتبارها لغة دين وحضارة وأدب وعلم وتكنولوجيا، ولغة حداثة، ولغة شابّة على الدوام.

وقد أعدّت وزارة التربية بتونس لهذه المناسبة برامج كثيرة تنفّذ في مدارسنا الابتدائيّة والإعداديّة والثانويّة وتشتمل على المسابقات والندوات والمحاضرات وتتوّج بمهرجان شعري وتوزيع للجوائز، وذلك بالتعاون مع وزارات أخرى وفي مقدّمتها وزارة الثقافة.

أيّتها السيدات، أيّها السادة

إننا نولي القراءة أهمّية كبيرة في منظومتنا التربوية لدورها العظيم في إثراء لغة التلميذ وتنشئة على القيم النبيلة وتأمين تفتّحه على آفاق أرحب وتهذيب ذوقه وصقل وجدانه وتدريبه على التعلّم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة.

وقد أتيح لنا في تونس أن نجري تجارب عديدة في مجال القراءة من أشهرها تجربة " الترغيب في القراءة/ المطالعة المنتجة" التي لا يكتفي التلميذ في إطارها بالقراءة والفهم وإنما يتجاوز ذلك إلى الدراسة والبحث والتوثيق والإبداع الأدبي، انطلاقاً مما قرأ وطالع. ولا شكّ أنّ لنا في كلّ أقطارنا العربيّة تجارب مفيدة سيكون هذا اللقاء مناسبة للاطّلاع عليها.

أيتها السيدات، أيها السادة

اسمحوا لي قبل إنهاء كلمتي أن أحيّي لبنان الذي نعقد على أرضه الطيّبة هذا اللقاء الكريم.

لقد قدّم لبنان للغة العربيّة في العصر الحديث خدمات عظيمة كان لها دور حاسم في المحافظة على هذه اللغة والنهوض بها في كلّ المجالات.

ولقد أدّى تأسيس الكليّة السوريّة الإنجيليّة (الجامعة الأميركيّة في بيروت حالياً) سنة 1866 إلى ازدهار اللغة العربيّة بفضل الترجمة العلميّة إليها نتيجة تدريس مختلف العلوم بها. وقد تواصل ذلك التدريس باللغة العربيّة من 1866 إلى سنة 1883، ودُعيت هذه الفترة بـ"العصر الذهبي في تاريخ اللغة العربية"، وذلك بفضل الجهود التي بذلها أساتذتها أمثال الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الأسير والشيخ إبراهيم الحوراني، ولما عُرف من نوابغ خرّيجيها أمثال يعقوب صرّوف وفارس نمر وشبلي شميّل وخليل سعادة وجبر ضومط. ولا شكّ أنّ تحويل لغة التدريس في الكليّة السورية الإنجيليّة من اللغة العربية إلى اللغة الإنكليزية سنة 1883 (وهو ما تمّ أيضاً في مصر سنة 1889) قد مثّل خسارة كبيرة للغة الضاد وأبنائها.

ولقد كان من نتائج النهضة التي عرفها لبنان في القرن التاسع عشر نشوء حركة لغوية واسعة، من معالمها البارزة إحياء اللغة والتراث العربيين، وإحياء القواميس القديمة بالتحقيق والطباعة والنشر ، وتأليف القواميس الحديثة.

وإنّ بطرس البستاني ولويس المعلوف وعبدالله العلايلي وسعيد الخوري الشرتوني هم من أعلام اللغة العربية الكثيرين في لبنان والوطن العربي. على أنني

أريد أن أشيد بالدور العظيم الذي قام به اللغويون والأدباء اللبنانيون في نهضة تونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومن هؤلاء أحمد فارس الشدياق ورشيد الدحداح وإدوار الياس ونجا الشدياق وفيليب شمعون ونعمان الخوري واسكندر رعد وشكري الشدياق وجبريل الدلال وشكري غانم وإلياس مصلّي واسكندر آغا إيكاريوس وغيرهم.

لقد كان هؤلاء اللغويون والمترجمون والأدباء والصحفيّون روّاداً للحداثة في تونس وفاعلين رئيسيين في حياة المجتمع التونسي وثقافته ولغته. وقد تواصل هذا الدور الريادي في الفترات اللاحقة، وكان لحنّا الفاخوري صاحب "تاريخ الأدب العربي" وفؤاد أفرام البستاني صاحب "الروائع" ولسائر أدباء لبنان وكتّابه النوابغ أمثال جبران خليل جبران ونعيمة ومارون عبّود حضور بارز لدى التونسيين وأسهموا بكتبهم في ترقية اللغة العربية بتونس وربط وشائج القربى بين التونسيين وأشقائهم في لبنان وغيرها.

وأودّ أن أنهي بالإشارة إلى أن شاعر تونس الأكبر أبا القاسم الشابي الذي كتب أشهر بيت شعر عربي عبر كلّ العصور (إذا الشعب يوماً أراد الحياة ....) قد كان تلميذاً متميّزاً لجبران، وقد كتب عن جبران بمناسبة احتفال التونسيين بالذكرى الأربعين لوفاته في 1931: "لقد كان جبران عاطفة مشبوبة، وخيالاً جامعاً، وفكراً قويّا، يجوب أعماق الحياة ...

حقاً ! لقد كان جبران العظيم رسول الحق والحبّ والجمال". وكذا أيضاً كان لبنان – وسيبقى – دائماً.

دمتم جميعاً في خدمة لغتنا الضاديّة لتكون في خدمة تنميتنا وتقدّمنا ومناعتنا الحضاريّة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.